

المجلد 09 / العدد 02 / ديسمبر (2025)، ص.ص. 181-189

الخطاب النقدي البيئي - مُساءلة في المفهوم والمصطلح -
Environmental critical discourse
- questioning in concept and term -

د. سليمة صلاح

s.slah@univ-chlef.dz

جامعة حسنية بن بوعلي - الشلف
(الجزائر)

د. محمد نمرة *

m.nemra@univ-dbk.m.dz

جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2025/12/02

تاريخ القبول: 2025/11/13

تاريخ الاستلام: 2025/07/04

ملخص:

يروم هذا المقال إلى تتبع منهج نقدي معاصر ألا وهو الخطاب النقدي البيئي أو الإيكولوجي (ecocriticism)، وهو فرع من فروع النقد الأدبي المعاصر، والذي ظهر في تسعينيات القرن الفائت في الولايات المتحدة الأمريكية، ويعدّ الأمريكي ويليام روكيرت أول من استخدم مصطلح "النقد البيئي" سنة 1978م في مقالة له بعنوان "الأدب وعلم البيئة: تجربة في النقد البيئي". وقد أسفرت الدراسة على محاولة تقديم تأصيل مفاهيمي ومصطلحي للنقد البيئي، والكشف عن العلاقة الموجودة بين الأدب والطبيعة، وتحليل العلاقة السائدة بينهما. **كلمات مفتاحية:** النقد، الخطاب النقدي، النقد البيئي، المفهوم، المصطلح.

Abstract:

This article aims to follow a contemporary critical approach, namely environmental or ecological critical discourse (Ecocriticism), a branch of contemporary literary criticism, which appeared in the nineties of the last century in the United States of America, the first to use the term "environmental criticism" was the American William Ruckert in 1978, in his article entitled "literature and ecology: an experiment in environmental criticism. This study resulted in an attempt to provide a conceptual and terminological rooting of environmental criticism, which has become a new critical approach in the analysis of literary discourse through the existence of green literature, and this is because of its increasing importance in treating environmental disasters, revealing the relationship between literature and nature, and analyzing the prevailing relationship between them.

Keywords: criticism-critical discourse-environmental criticism-concept-term.

1. مقدمة:

يعدّ النقد البيئي أو الإيكولوجي نقدا حديث العهد، وهو فرع من فروع النقد الأدبي المعاصر، ظهر في تسعينيات القرن الفائت في الولايات المتحدة الأمريكية، واهتمت الأوساط الأدبية والثقافية به على شكل مقالات فردية مقتضبة، تلتها دراسات أدبية بيئية قليلة، وقد وطن الناقد ويليام روكيرت مصطلح (النقد البيئي) سنة 1978م، والذي يتمّ بقرأة وتمثيل الطبيعة في العمل الأدبي، وحمايتها من الإتلاف والتخريب. والذي انتشر مؤخرا في أوروبا وأمريكا، وهو لا يكتفي

*المؤلف المرسل

بالتوقف عند الأدب البيئي الجديد بل يتجاوزه إلى نصوص أدبية قديمة أي أنه يحفر في أغوار التراث الأدبي القديم، كما أنه ينته إلى ما آلت إليه البيئة اليوم من دمار وخراب نتيجة الحروب الفتاكة والتزاعات الحدودية والتجارب التووية والكوارث الطبيعية. من هنا جاءت أهمية النظرية البيئية النقدية لحل الأزمة البيئية بمفهومها الشامل لكل جوانب الحياة البشرية، التي سادها الاضطراب والتفكك، بغية إيجاد حلول عاجلة للمشكلة البيئية، والتي استعصت في بداية هاته الألفية بتطور الأسلحة الفتاكة، وازدياد عدد سكان المعمورة، وتلوث البيئة، ونقص المساحات الخضراء، وزيادة العمران على حساب الأراضي الفلاحية.

وظهر الترابط بين الخطاب النقدي وما قدمته الخطابات الأدبية في مؤلفات الطبيعة، والتي أظهرت الترابط الوثيق بين الإنسان وبيئته، في ضوء قراءات نقدية متنوعة تراوحت بين الدراسة الاجتماعية، والثقافية، والتفيسية، والتاريخية، والجمالية... في محاولة جادة للإصلاح والتطوير وفقا لايديولوجيات بيئية جديدة؛ مما تسبب في إحداث حراك فكري عميق منذ ستينيات، وسبعينيات القرن الفائت تحت ما يعرف النقد البيئي أو الإيكولوجي (Ecocriticism).

وقد انطلقت الدراسة من إشكالية أساسية مفادها: ما حقيقة الجهاز المفاهيمي والاصطلاحي لتأصيل الخطاب النقدي البيئي؟ وهي تهدف إلى تسليط الضوء على الجهاز المفاهيمي والمصطلحي لتأصيل الخطاب النقدي البيئي تحليلا وقراءة لاستخلاص مكانة البيئة الحقيقية، وصور الحياة والطبيعية في الخطاب الأدبي، وذلك من منظور بيئي/إيكولوجي معاصر. واثبتنا المنهج الوصفي القائم على التحليل، لوصف الظاهرة النقدية البيئية، والاستعانة بآليات المنهج التاريخي في تتبع الظاهرة النقدية منذ نشوئها حتى نضوجها وانتشارها.

2. مُسألة مفاهيمية:

إن ظهور الخطاب البيئي والإيكولوجي في الثقافة الأنجلوسكسونية - الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تحديداً -، ضمن المؤسسات الأكاديمية والمعاهد الجامعية (كجامعة أوريغون، وجامعة نيفادا...)، قد رافق النقد البيئي إلى مرحلة فكرية وفلسفية جديدة، جاءت بمفاهيم جديدة مغايرة لما كانت عليه من قبل، حيث قلبت الموازين رأساً على عقب، وهو ما أدى إلى فضح وتعرية المؤسسات الثقافية الغربية المهيمنة، الأمر الذي تجل بمقاومة شاملة، وثورة عارمة، تطالب بالاهتمام بالعرق والجنس والجنوسة والطبقة والتاريخ والمؤلف والسياق والمكان...¹ وفي ظل هذه الظروف الصعبة، ظهر النقد البيئي / الإيكولوجي للتشديد على أهمية البيئة محليا وإقليميا وعالميا، وضرورة الحفاظ عليها، وذلك ضمن منظور نقدي بيئي معاصر، بعد أن انتشرت الأمراض المعدية والفتاكة، وتلوث البيئة والهواء والمياه في المجتمعات الصناعية المتقدمة والمتخلفة على حد سواء².

تعدّ العلاقة القائمة بين النقد البيئي والثقافة البيئية علاقة متكاملة، تكسوها أواصر الوعي القيمي، والأخلاق البيئية المتبادلة، والتي تُبشر بحلّ المشكلات البيئية لحفظ البيئة من الزوال والاندثار، كما نجد أنّ الجانب الأدبي طغى على كل جوانب الثقافة البيئية الحالية، ليكون بذلك داعما بيئيا وجاليا خالصا، يحمل في طياته ثنائية العقل والجسد، لرصد الأفكار والتجارب البيئية المختلفة في بعدها المفاهيمي والإدراكي، وهذا بإنجازات بيئية حافلة تعكس الوعي البيئي الحقيقي لتنمية مجتمعاتنا وبيئاتنا اليوم³.

1.2 مفهوم البيئة :

يُعدّ الحديث على لفظ (البيئة) حديث متشعب ومتداخل، لأنّ التطرق لها يكون أمام منظومة شاملة متعدّدة العناصر والمكونات، وبصير البحث على مفهوم واحد والاستئناس به شبه مستحيل، فكل تعريف يقدم أفكارا ورؤى حديثة، وهذا التداخل يدلّ على قيمة هذا المصطلح في توجيه ما يحوطه من مفاهيم متعدّدة ومتشابهة.

1.1.2 البيئة لفة:

إنّ الحديث عن مفهوم لفظ (البيئة)، يستلزم الوقوف عند الجذر اللغوي (ب، و، أ)، والذي أخذ منه الفعل الماضي (باء) و (أباء)، والاسم (البيئة).

تتيح لنا لفظ (البيئة) في لسان العرب لابن منظور (ت711هـ) الدلالات الآتية⁴ :

- الدلالة الأولى: الاستقرار والنزول، أي النزول والإقامة بمكان ما . فنقول تبوأ مكاناً أو منزلة بمعنى حل ونزل وأقام.

- الدلالة الثانية: إصلاح وتهيئة المكان قصد المبيت.
- ويتحدد المفهوم اللغوي للفظ (البيئة) في لسان العرب لابن منظور عبر مفاهيم مختلفة، نذكر منها ما يأتي:
- مفهوم إصلاح وتهيئة المكان قصد المبيت أو السكنى.
- مفهوم الرجوع والعودة، بقاء إلى الشيء أي رجوع.
- مفهوم النزول والإقامة، أبأت بالمكان أي أقمت به.
- مفهوم حسن الحال أي حسن البيئة.

2.1.2. البيئة اصطلاحاً:

تُجمع الدراسات المعاصرة على قدم مفهوم لفظ (البيئة)، الذي كان مثار انتباه الباحثين الأوائل، والذي أثر فيهم تأثيراً واضحاً، وهذا من خلال الكتابات المتعددة، والتي أسالت الكثير من الحبر، فكتب عنها أفلاطون Platon وهيبوقراط Hippocrates وأرسطو Aristotle باعتبارهم من المفكرين الأوائل الذين ما زالت إسهاماتهم متداولة لحد الآن، ويعدّ ثيوفراستوس Theophrastos تلميذ أرسطو الأول من اعتنى حقيقة بدراسة الجانب العلائقي للكائنات الحية مع بعضها البعض من جهة، ومع البيئة التي تعيش فيها من جهة أخرى⁵.

واستخدم لأول مرة مصطلح (البيئة) من طرف العالم الفرنسي S.t Heliere، للتعرف على المكان الذي تعيش فيه الكائنات الحية، ويقابل مصطلح (البيئة) في اللغة الأجنبية لفظ Environnement في الفرنسية، و Environement في الإنجليزية⁶.

لا يستبعد الباحث عدنان أحمد الصمادي أن يكون العلماء الذين اختاروا مصطلح لفظ (البيئة) باللغة العربية مأخوذاً من اللفظ اللاتيني (ecology)، وهو العلم الذي يدرس العلاقة بين الكائنات الحية في وسطها الطبيعي، وهي مشتقة من اللفظة الإغريقية أويكوس (oikos)، وهي بمعنى المنزل، ومنها : لوغوس (logos)، بمعنى العلم⁷. وبذلك العلم الذي أطلق بداياته إرنست هيكل، وهو علم البيئة الذي يدرس التفاعلات الحاصلة في مكان محدّد⁸.

إنّ ظهور الإسلام هو البداية الحقيقية للتفكير البيئي في المنطقة العربية، والذي قوّض أركان طقوس الجاهلية، وأقام على أنقاضها منظومة إسلامية متكاملة لتنظيم حياة الإنسان والمجتمع على حدّ سواء، وكان لحضور المفاهيم الإيكولوجية مكاناً بارزاً في هذه الحقبة، إذ نجد ألفاظاً مختلفة تنيد مدلول مصطلح (البيئة)، إذ نجد مصطلح مرادف مذكور في القرآن الكريم، وفي سور قرآنية عدّة، ليدل على مفهوم أماكن معيشة الإنسان، والكائنات الأخرى، وطبيعة العلاقات المختلفة بينها، وهذه اللفظة هي (الأرض)، باعتبارها مستقر الإنسان وموطنه، الذي يجد فيها كلّ احتياجاته اليومية⁹.

يعدّ كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه أول من طرح مفهوم لفظ (البيئة)، وذلك منذ القرن الثالث للهجرة، والذي تكلم فيه على الوسط البيئي الذي يعيش فيه، دون أن يغفل مختلف الأوساط البيئية الأخرى للكائنات الحية الأخرى، كما أشار في كتابه أيضاً إلى المناخ السياسي والاجتماعي والأخلاقي والفكري¹⁰. وهذا يجعل معنى مادي للطبيعة وعناصرها، ومعنى آخر غير مادي يتضمن منظومة وطبيعة الجانب العلائقي الذي ينظم ويسير شؤون حياة الإنسان، وقد أسهم كبار الأدباء العرب في تحري البيئة العربية ودراساتها، والإلمام بكائناتها، وهم كالآتي¹¹ :

- الأصمعي (ت 216 هـ) التي تناول فيها بالتفصيل أهم الحيوانات في البيئة العربية.
- الجاحظ (ت 256 هـ) الذي اعتنى بالحيوانات ودرس خصائصها الدقيقة في كتابه الحيوان.
- موسوعة الشفاء لابن سينا التي ضمنها عديد النباتات وفوائدها العلاجية.
- كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني الذي ركّز فيها على تأثير البيئة في الحيوانات.
- ويعدّ المجريطي (ت 399 هـ) أول من وضع كتاباً عنونه بالبيئة، وذلك من خلال كتابه الموسوم بـ : (الطبعيات وتأثير النشأة والبيئة على الكائنات الحية) .

ولم يكن اهتمام علماء العرب بالبيئة في عناصرها الطبيعية فقط، بل تجاوزوا ذلك إلى تتبع آثارها على الإنسان ومعيشته، فتحدثوا عن البيئة الوراثية، وعن تأثير الطبيعة في نفوس الناس وملاهمهم، فصاعد الأندلسي (ت 463 هـ)

تكلم في كتابه (تأثير البيئة الطبيعية في الأمم) عن تأثير المناخ في الأجسام، فيقول عن سكان الشمال والجنوب: " عظمت أبدانهم بسبب الشحوم التي تراكت فيها، وابتضت وجوههم على النقيض من أهل السودان الذين اسودت أبدانهم " ¹².

تعترف Karen Winkler بصعوبة تعريف مصطلح النقد البيئي (Ecocriticism) أو مصطلح النقد الأدبي البيئي (Ecocriticism Environmental Literaty) لوجود مصطلحات مرادفة كثيرة تضعها تحت عنوان (Green Cultural Studies) الدراسة الثقافية الخضراء؛ فهو يشمل العناصر التالية: الأصل والطبقة والجنس، وهي العوامل المستخدمة في تحليل الأدب. وربما ما يزال في طور التكوين بعد، لكن عندما تضعه في بوتقة (Green Cultural Studies) فهو يعنى بالدراسات التي تهتم بالبيئة ولديها وعي بماهيتها وكثافتها، وربما كان تمسكها باللون الأخضر دفعا لاهتمام البيئيين بقرهم من الفكر الشيوعي الأحمر ¹³.

وشرّج Karen Winkler كثرة التسميات المختلفة للمصطلح إلى تشعب الاتجاهات النقدية في النقد الأدبي البيئي؛ ولذا فهو نقد للجميع وطريقة الناقد البيئي هي التي جعلت المصطلح مختلفا؛ فبعض النقاد يرون أن دورهم هو رفع الوعي البيئي لدى الشعب وطرح مشكلات البيئة على الجمهور، وبعضهم من أكبر نشطاء الحركة البيئية؛ بينما يرى آخرون أنه رد فعل على النظريات النقدية التي ظهرت في الثمانينيات والتسعينيات ¹⁴.

لم يتفق الباحثون حول مفهوم جامع ومانع للنقد البيئي، ولم يبينوا بدورهم مقصوده بالضبط. وذلك لحدائته، وجدته في معاهد الولايات المتحدة الأمريكية وجامعاتها الأكاديمية.

ويعرف Shirley Glotfelty و Harold Fromm الخطاب النقدي البيئي بأنه : بحث علاقتي بين الخطاب الأدبي والبيئة المادية ¹⁵.

وغالبًا ما يطرح نقاد البيئة أمثلة مثل: كيف تُمثل الطبيعة في هذه السونيت (Sonnet)؟ وما دور الفضاء المادي في حبكة هذه الرواية؟ هل القيم المعبر عنها في هذه المسرحية متوافقة مع الحكمة البيئية؟ ¹⁶.

وقال Glen Aloff من جامعة أوريغون لقد حان الوقت لسد الفجوة بين العلوم الإنسانية والعلوم الأخرى، ولن تحقق النظرية الأدبية ذلك، في حين تُجادل بعض المقالات في مجموعة مختارة من النقد البيئي بأن نظريات ميشيل فوكو وإدوارد سعيد وثيقة الصلة بدراسة البيئة، التي تُعدّ بحد ذاتها بناءً ثقافيًا ¹⁷.

ويعتبر George Gerard أن الخطاب النقدي البيئي هو : " دراسة العلاقة القائمة بين الأدب والبيئة المادية " ¹⁸، ونعني هنا بالبيئة المادية بالحيط التفاعلي بين الإنسان وبقية الكائنات الحية والجمدة، وذلك بالتأثير والتأثر المتبادل بينهما في المنظومة البيئية جمعاء.

3. مُساءلة مصطلحية:

تُعنى مصطلحات الخطاب البيئي / الإيكولوجي بدراسة البيئة في الخطابات الأدبية والفكرية والفلسفية والثقافية والإبداعية، ويُعرف هذا النقد بمصطلحات أخرى كالأبحاث الثقافية الخضراء، البويطيقا البيئية، والنقد البيئي الأدبي، والنقد الإيكولوجي.

إنّ انشغال النقاد بتأسيس النظرية النقدية البيئية وأدواتها أدّى إلى تباين في المسميات الاصطلاحية. ورغم أن هذه المسميات لا تدل على تغير في مبدأ عمل النظرية، بل تعكس ثقافة الناقد وقدرته على توليد المصطلحات، إلا أن ذلك يعود إلى تداخل علومه وتخصصاته المختلفة، أو لاحتوائها على معانٍ مادية وروحية في آن واحد ¹⁹.

برزت مُسميات عدّة بتعدد الاتجاهات النقدية واختلافاتها، ومن أهمها نجد: الدراسات الثقافية الخضراء (green cultural studies)، وكتابة الطبيعة، والنقد البيئي الأدبي (environmental literary criticism)، الشعرية أو البويطيقا البيئية (ecopoetic)، الأدب البيئي (eco-literature)، والنقد البيئي أو الإيكولوجي أو الأخضر وعلم التبيؤ ²⁰، فتنوعت التسميات وفقا للغات والبيئات، لكنها حافظت على تناول الأدب من منظور بيئي مستأنسا بمجالات أخرى، مثل: علم البيئة، والتصميم المستدام، والسياسة الحيوية، وتاريخ البيئة، وحماية البيئة، والإيكولوجيا الاجتماعية. للنقد الأدبي مسميات عدّة في الأدب توازيها في العلوم مثل: علم البيئة، ويقابلها دراسة الأدب ونقده، وعند الإيكولوجيا هو علم البيئة العميقة، أمّا البيئة المادية فيقابلها: التصور البيئي وإعادة التصور، وظهر

له اسم التنوع البيولوجي، أي الثقافة البيئية العالمية، وكان يوازيه مصطلح البيئة الثقافية، أما مرادف التلوث، فهو الخطاب السام أو المخاطر الأدبية، أو التلوث اللغوي²¹.

ويشير الباحثون إلى أنّ وليام روكرت هو أول من وطّن مصطلح (النقد البيئي / الإيكولوجي) في مقالاته الموسومة بـ : (Environmental Literature/ An Experiment in Environmental Criticism,) (1978) (الأدب وعلم البيئة/ تجربة في النقد البيئي سنة 1978م)، ليصدر بعدها كتاب (النقد الأدبي البيئي عام 1994م). وكان من المنظرين أيضاً (جوناثان باث) وكتابه (البيئة الرومانتيكية)، ورئيس جمعية (الأدب والبيئة) البريطانية (جورج جيرارد) في دراسته (النقد البيئي، الإبداع والبيئة، غياب النباتات الأزلية)، وشيرل بورغيس غلو تفيلي، وهارولد فروم في (مجموعة مختارة من النقد البيئي، أعلام أدب علم البيئة عام 1996م)²²، وقد اعتنى مجموعة من العلماء والباحثين في الثقافة الأمريكية بدراسة البيئة نذكر منهم : (لورانس بويل) وكتابه (الخيال البيئي)، و(مايكل ريزمان) في كتابه (الفلسفة البيئية). وشاعت في الثقافة الألمانية دراسة بيئية وُسّمت بالخضراء، حيث أصدر (جوست هيرماند) كتابه (البيوتوبيا الخضراء في ألمانيا)، وكان أكثر تداولاً مصطلح (الدراسات الثقافية الخضراء)²³.

إنّ الاهتمام بالدراسات الأدبية البيئية في المشهد العربيّ الأدبيّ والنقدي، لقي اهتماماً محدوداً، وهو ما يعكس وعياً متأخراً لدى المبدع من جهة، ولدى الدارس الأدبي في العربية من جهة أخرى؛ ومما يؤكد ذلك أنّ كثيراً من الدراسات النقدية التي ربطت بين البيئة والأدب كانت دراسات فنية في المقام الأول والأخير، ولم تتلّ الطبيعة في علاقاتها أو حضورها مع الأدب شعراً ونثراً، الخطوة النقدية المرتبطة بوعي إيكولوجي؛ لأنها كانت علاقات رومانسية فنية غير مدفوعة - في كثير من الأحيان، إن لم يكن في جُلّها - بموقف أيديولوجي يستشعر الخطر على البيئة ومقدرات الحياة²⁴.

وبالنظر إلى التاريخ العربيّ في مجال النقد الأدبيّ، الذي علا ازدهاره في المعارك الأدبية - مثل الطائيين -، والتعصب النقدي، مثل الدراسات حول المتنبي، والتحييزات الفكرية حول الشعر الجاهلي وغيره، الذي قدّمه طه حسين وخصومه حديثاً تُظهر مفارقة في التطور النقدي بين القديم والحديث، ففي الوقت الذي ظهرت فيه تجليات نقدية تتوافق وطبيعة اللغة العربية والأيديولوجيات المتنامية لها قديماً، يقابلها اليوم تأخر نقديّ بسبب أزمت ثلاث، تتمثل أهمها في أزمة النقد العربيّ من جهة، وأزمة الناقد من جهة أخرى²⁵.

أمّا المحاولات في منطقتنا العربية، فلا تكاد نجد إلا محاولات قليلة في الدراسات النقدية لصعوبة هذا المنهج، وتعدد مشاربه ويعدّ (محمد أبو الفضل بدران) أول ناقد عربيّ تحدّ الطريق في النقد البيئي بكتابه الذي أصدره سنة 2010م (النقد الأدبي البيئي، النظرية والتطبيق)، وبحث آخر مشترك به المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية بعنوان (أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية) عام 2015م، وأسما إبراهيم حسين (النقد الإيكولوجي وتجلياته في روايتي (حرب الكلب الثانية لإبراهيم نصر الله، إسكندرية 2050 لصبحي الفحماوي)، ومحمد فاضل المشلب (البيئة ظهوراً شعرياً، مقارنة نقدية في أشعار طالب عبد العزيز)، كما أصدر الباحثان جميل حمداوي وأحسن أعراب دراسة بعنوان (النقد البيئي أو الإيكولوجي في الأدب والفن) سنة 2020، ويعدّ هذا الكتاب مرجعاً مهماً في تأصيل النقد البيئي²⁶.

ومن المصطلحات التي راجت في الدراسات النقدية البيئية أو الإيكولوجية، نذكر منها : الاستدامة، التناص البيئي، التخيل البيئي، الوضع الإيكولوجي، الإيكولوجيا العميقة...

أ. الاستدامة : Sustainability

الاستدامة مصطلح بيئي، وهي تعني كلّ ما يصف كيفية المحافظة على المنظومة الحيوية للبيئة المنتجة والمتنوعة بم الأزمان، وهي تعني للإنسان كيفية المحافظة على النوع البشري من الفناء، والصراع لأجل ذلك، وهذا بالمحافظة على البيئة وقدراتها الطبيعية، و الاستخدام الأمثل لمواردها²⁷، أي تقوم على مبدأ الحفاظ على الأنظمة الحيوية من أيّ ضرر يمسها، وجعلها في حالة أكثر تجديدا واستمرارا في الحياة؛ في مُجابهة ما سببته اتجاهات التنمية الحالية من تلوث فتقوم بفرض حدود على الرغبات المادية للإنسان، من خلال محاولتها التقليل من حجم الإنتاج الصناعي المسبّب الضرر للأنظمة البيئية، وهي تعني بذلك ما يأتي:

- ترشيد الموارد الطبيعية.

- الحفاظ على التنوع الحيوي.
- تقليل التلوث.
- الاستخدام الفعال للطاقة.
- تلبية احتياجات الأجيال القادمة.
- تحسين جودة الحياة.

ب. التناص البيئي : Environmental intertextuality

التناص البيئي هو مصطلح بيئي عثر عليه الباحث هاني علي سعيد محمد في إحدى الدراسات النقدية البيئية المهمة والمبكرة، وقد أوجده صاحبه للدلالة على نقل مفهوم التناص إلى مستوى البيئة، ويقصد به أن المبدع يلجأ إلى استيراد مجموعة من النصوص، التي تختفي بالبيئة والطبيعة في خطابه الأدبي، فيمزج بذلك بين نصين أحدهما بيئي، والآخر غير بيئي، ويضرب مثالا على ذلك من نص الروائي اليمني محمد عبد الوكيل: كيف ارتجت الأرض وأخرجت من رحمها هذه الفتاة المترية بدماء شفافة، مثل زرع اشتدت خضرته تحت سياط المطر الموسمي، فمشهد الفتاة الغارقة في دماؤها الشفافة، متداخل مع نصين يبيئين قبله وبعده²⁸، وهو يقتبس الأفكار والمفاهيم المتعلقة بالبيئة من نصوص سابقة مع إضفاء لمسة فنية خاصة بالأديب. على سبيل المثال، يمكن أن يستوحى كاتب من نص قديم يصف جبال الطبيعة، ويبعد صياغته بطريقة تتناسب مع رؤيته الخاصة للعالم، وهو يساعد على فهم أعمق للنصوص الأدبية، وكيفية تفاعلها مع البيئة المحيطة بها. كما أنه يساهم في إبراز أهمية الحفاظ على البيئة وتوعية القارئ بأهمية حمايتها.

ج. التخيل البيئي : Environmental imagination

التخيل البيئي هو مصطلح بيئي صاغه لورانس بويل، وقد استطاع من خلاله تقديم تصورا جديدا لعلاقة الخيال بالواقع البيئي²⁹، يركز فيها على العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وغالبا ما يتناول قضايا مختلفة مثل التغير المناخي، والتلوث الإشعاعي، وفقدان التنوع البيولوجي. يسعى هذا النوع إلى زيادة الوعي بالقضايا البيئية من خلال القصص الخيالية، وقد يشمل ذلك قصصا عن الكوارث البيئية، أو المجتمعات التي تتكيف مع البيئة المتغيرة، أو استكشاف العلاقات بين البشر والطبيعة.

يُعرف لورانس بويل التخيل البيئي بأنه: "الكيفية التي تشكل بها البيئة المادية الخيال"³⁰، ويتناول قضايا بيئية مختلفة، وهو يشتمل على مجموعة واسعة من الأعمال، من الروايات التي تتناول الكوارث البيئية التي تستكشف المجتمعات التي تتكيف مع عالم متغير، أو حتى تلك التي تركز على العلاقات بين البشر والطبيعة.

د. الوضع الإيكولوجي : Ecological situation

الوضع الإيكولوجي هو مصطلح بيئي يتكون له أبعاد ثلاثة، يرتبط بكل بُعد عدد لا يمكن حصره من المظاهر الإيكولوجية للأنواع المختلفة، وهي³¹:

- المظاهر حيوية وغير الحيوية التي تحدّد التفاعلات الداخلية للكائن الحي.
 - المظاهر حيوية وغير الحيوية التي تحدّد التفاعلات الخارجية.
 - البُعد زمني الذي يحدّد طبيعة التفاعلات الإيكولوجية الداخلية والخارجية.
- يتأثر الوضع البيئي / الإيكولوجي بعوامل عدّة مثل الكوارث البيئية، والتغيرات المناخية، والتلوث، وإزالة المساحات الخضراء، والاستنزاف المفرط للموارد الطبيعية. كلّ هذه العوامل تؤدي إلى تدهور النظم البيئية، والتي تؤثر سلبا على التنوع البيولوجي، وعموما، وصحة الإنسان خصوصا؛ ولتدارك هذا الأمر يتطلب التدخل السريع للحفاظ على البيئة وصحة الإنسان والحيوان، وهذا من خلال إصلاح الوضع الإيكولوجي بما يأتي:
- **التوعية البيئية:**

زيادة الوعي العام بأهمية الحفاظ على البيئة وتشجيع المشاركة المجتمعية في جهود الحماية البيئية.

- إصلاح النظم البيئية المتدهورة:

- يشمل استعادة الغابات والأراضي الرطبة والمناطق المتدهورة، وزراعة الأشجار، وإعادة تأهيل الموائل الطبيعية.
- إدارة مستدامة للموارد الطبيعية:

يشمل الحفاظ على التنوع البيولوجي، واستخدام الموارد الطبيعية بشكل مستدام، وتقليل النفايات والتلوث.
- **مكافحة التغيرات المناخية:**

يشمل تقليل انبعاثات الغازات الدفيئة، وتحسين كفاءة استخدام الطاقة، والتحول إلى مصادر الطاقة المتجددة.

هـ. الإيكولوجيا العميقة/ البيئة العميقة : Deep Ecology

الإيكولوجيا العميقة هي مصطلح بيئي من ابتكار الفيلسوف الترويجي آرني نيس سنة 1972م، وصاغها في بحثه " الضّل والعميق، حركات الإيكولوجيا بعيدة المدى"، وهي مصطلح يعبر عن إبطال مركزية الذات البشرية، وإنزالها منزلة متساوية مع بقية عناصر الطبيعة؛ إذ يؤمن الفلاسفة البنيويون بأنّ مركزية البشر قد سببت استغلالاً وهينة جائرة للعناصر الأخرى³². وهي تركز على العلاقة الروحية بين الإنسان والطبيعة، وتدعو إلى تغيير جذري في النظرة البشرية للعالم. وهي تعتبر أنّ الطبيعة لها قيمة جوهرية في حد ذاتها، وليست مجرد وسيلة لخدمة البشر. للإيكولوجيا العميقة أهمية كبرى، وهي كالآتي:

- تقدم الإيكولوجيا العميقة إطاراً فلسفياً لفهم الأزمة البيئية وتحديد حلول مستدامة.

- تشجع الإيكولوجيا العميقة على تغيير جذري في القيم والمواقف اتجاه الطبيعة والمجتمع.

- تعتبر الإيكولوجيا العميقة أساساً للحركات البيئية المختلفة.

و للإيكولوجيا العميقة مفاهيم أساسية، وهي كالآتي:

- القيمة الذاتية للطبيعة:

ترى الإيكولوجيا العميقة أن جميع الكائنات الحية، بما في ذلك النباتات والحيوانات، لها قيمة ذاتية ويجب احترامها لذاتها، بغض النظر عن فائدتها للإنسان.

- التحرر من مركزية الإنسان:

تدعو إلى رؤية أوسع وأكثر شمولية للطبيعة. تنتقد الإيكولوجيا العميقة مركزية الإنسان، وهي الفكرة التي ترى أن البشر هم الأهم ويجب أن تكون الطبيعة في خدمتهم.

- الاعتماد المتبادل:

ترى الإيكولوجيا العميقة أن جميع الكائنات الحية مرتبطة ببعضها البعض في شبكة معقدة من العلاقات، وأن أي ضرر يلحق بجزء من هذا النظام يؤثر على الكل.

- التنوع البيولوجي:

تؤكد الإيكولوجيا العميقة على أهمية التنوع البيولوجي وضرورة الحفاظ عليه، معتبرة أن كل كائن حي يلعب دوراً حيوياً في النظام البيئي.

- العيش البسيط:

تشجع الإيكولوجيا العميقة على تبني نمط حياة بسيط يقلل من الاستهلاك ويسعى إلى تحقيق التوازن مع الطبيعة.

4. خاتمة:

نخلص في نهاية هذا المقال إلى مجموعة من النتائج، وهي كالآتي:

- النقد البيئي أو الإيكولوجي هو منهج نقدي يدرس الخطاب الأدبي والإبداعي تحليلاً وقرأة لاستخلاص المكان الجغرافي، وملامح مكانة البيئة، وصور الحياة والطبيعة في الخطاب الأدبي. وتُعنى مصطلحاته بدراسة البيئة في الخطابات الأدبية والفكرية والفلسفية والثقافية والإبداعية، وهو يتخذ موضوعاً له، ويهدف إلى مراجعته ومساءلته قصد تجديد مركزاته النظرية، وآلياته الإجرائية.

- يُشير الباحثون إلى أنّ وليام روكرت هو أول من وطّن مصطلح (النقد البيئي / الإيكولوجي) في مقالاته الموسومة بـ: (الأدب وعلم البيئة/ تجربة في النقد البيئي سنة 1978م)، ليصدر بعدها كتاب (النقد الأدبي البيئي عام 1994م). وكان من المنظرين أيضاً (جوناثان باث) وكتابه (البيئة الرومانتيكية)، ورئيس جمعية (الأدب والبيئة) البريطانية (جورج جيرارد) في دراسته (النقد البيئي، الإبداع والبيئة، غياب النباتات الأزلية)، وشيرل بورغيس غلو تفيلي، وهارولد فروم في (مجموعة مختارة من النقد البيئي، أعلام أدب علم البيئة عام 1996م).

- لم يتفق الباحثون حول مفهوم جامع ومانع للنقد البيئي، وذلك لحداثته، وجدته في معاهد الولايات المتحدة الأمريكية، وجامعاتها الأكاديمية وهو حسب شيرلي غلوتيفلي و هارولد فروم هو دراسة العلاقات بين الأدب والبيئة المادية، ويعول في عملية مساءلته للخطاب الأدبي على آليات النقد الأدبي، وهو يسعى جاهدا لتحقيق أهدافه البيئية في تعزيز الوعي بمختلف القضايا البيئية والتعاطف معها.
- يعرف النقد البيئي بمصطلحات ومفاهيم أخرى كالدراستات الثقافية الخضراء، والشعرية أو البويطيقا البيئية، والنقد البيئي الأدبي، والنقد البيئي، والنقد الإيكولوجي. وهو بذلك لم يسلم من إشكالية ترجمة المصطلح البيئي الغربي.
- تعدّ العلاقة القائمة بين النقد البيئي والثقافة البيئية علاقة متكاملة، تكسوها أواصر الوعي القيمي، والأخلاق البيئية المتبادلة، والتي تُبشر بحلّ المشكلات البيئية لحفظ البيئة من الزوال والانقراض.
- جاءت أهمية النظرية البيئية النقدية لحل الأزمة البيئية بمفهومها الشامل لكل جوانب الحياة البشرية، التي سادها الاضطراب والتفكك، بغية إيجاد حلول عاجلة للمشكلة البيئية، والتي استعصت في بداية هاته الألفية بتطور الأسلحة الفتاكة، وازدياد عدد سكان المعمورة، وتلوث البيئة، ونقص المساحات الخضراء.
- طغيان الجانب الأدبي على كل جوانب الثقافة البيئية الحالية، ليكون بذلك داعما بيئيا وجماليا خالصا، يحمل في طياته ثنائية العقل والجسد، لرصد الأفكار والتجارب البيئية المختلفة في بعدها المفاهيمي والإدراكي.
- تعدّ الدراسات العربية في هذا الميدان هي محاولات شحيحة لصعوبة هذا المنهج، وتعدّ مشاريعه ويعدّ محمد أبو الفضل بدران أول ناقد عربي تحدّ الطريق في النقد البيئي بكتابه الذي أصدره سنة 2010م، و الموسوم بـ : النقد الأدبي البيئي - النظرية والتطبيق -، وبحث آخر مشترك قدم بالمؤتمر الدولي الرابع للغة العربية سنة 2015م، والموسوم بـ : أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية.

6. قائمة الإحالات:

- 1 - ينظر: جميل حمدوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، ص: 298.
- 2 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 298.
- 3 - عبيد جودت حافظ عبد الحافظ : النقد الأدبي ونظرية الأدب (دراسة في نماذج روائية عربية معاصرة)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2024، ص: 78.
- 4 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (ب، و، أ)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- 5 - السيد عبد العاطي السيد : الإيكولوجيا الاجتماعية (مدخل لدراسة الانسان والبيئة والمجتمع)، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 1997، ص: 32.
- 6 - عبد المجيد الطريبقي : منظور الإسلام إلى المحافظة على البيئة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، دط، دت، ص: 40.
- 7 - ينظر: عدنان أحمد الضادي، منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة من التلوث، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، ع51، سؤال 1423هـ 2002م، ص: 300.
- 8 - ينظر: رجاء وحيد دويدري، البيئة مفهوما علمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2004، ص: 31.
- 9 - ينظر، ياسين عبد الله المتزلاوي، البيئة من منظور إسلامي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص: 22.
- 10 - ينظر: رجاء وحيد دويدري، البيئة مفهوما علمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي، ص: 25.
- 11 - المرجع نفسه، ص: 320-321.
- 12 - ينظر: نفسه، ص: 322-324.
- 13 - محمد أبو الفضل بدران : أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، ص: 195.
- 14 - المرجع نفسه، ص: 195.
- 15 - جميل حمدوي : نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، ص: 297.

- 16 - المرجع نفسه، ص: 297.
- 17 - ينظر: ديفيد كارتز، النظرية الأدبية، تر: باسل المسالمة، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص: 153-154.
- 18 - جرج جيرارد: النقد البيئي، تر: عزيز صبحي جابر، أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2009، ص: 10.
- 19 - عبير جودت حافظ عبد الحافظ: النقد الأدبي ونظرية الأدب (دراسة في نماذج روائية عربية معاصرة)، ص: 75.
- 20 - ينظر: المرجع نفسه ص: 76.
- 21 - نفسه، ص: 76.
- 22 - فريد عوف: النقد البيئي الرؤية والتطبيق - دراسة تطبيقية لنماذج شعرية من شعر المدينة والزيف للشاعر الجزائري عبد الملك بومنجل، مجلة دراسات، مج 12، ع01، ماي 2023، ص: 470.
- 23 - المرجع نفسه، ص: 470.
- 24 - عبير جودت حافظ عبد الحافظ: النقد الأدبي ونظرية الأدب (دراسة في نماذج روائية عربية معاصرة)، ص: 77.
- 25 - المرجع نفسه ص: 76.
- 26 - نفسه، ص: 470.
- 27 - ينظر: مجموعة مؤلفين، النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات، تر: نجاح الجبيلي، دار شهريار للنشر والتوزيع، بغداد، العراق، ط1، 2020، ص: 323.
- 28 - ينظر: هاني علي سعيد محمد، النقد الأدبي البيئي؛ قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، وممارسة تطبيقية على قصة " رأيت النخل" لرضوى عاشور، العدد 26، يناير 2022، ص: 464.
- 29 - المرجع نفسه، ص: 463.
- 30 - نفسه، ص: 463.
- 31 - السيد عبد العاطي السيد: الإيكولوجيا الاجتماعية (مدخل لدراسة الإنسان والبيئة والمجتمع)، ص: 57-58.
- 32 - هاني علي سعيد محمد، النقد الأدبي البيئي؛ قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، وممارسة تطبيقية على قصة " رأيت النخل" لرضوى عاشور، ص: 463.

6. قائمة المصادر والمراجع:

- 1- جرج جيرارد: النقد البيئي، تر: عزيز صبحي جابر، أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2009.
- 2- جميل حمداوي: نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة.
- 3- ديفيد كارتز: النظرية الأدبية، تر: باسل المسالمة، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط1، 2010.
- 4- رجاء وحيد دويدري: البيئة مفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2004.
- 5- السيد عبد العاطي السيد: الإيكولوجيا الاجتماعية (مدخل لدراسة الإنسان والبيئة والمجتمع)، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 1997.
- 6- عبد الحميد الطريبقي: منظور الإسلام إلى المحافظة على البيئة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، دط، دت.
- 7- عبير جودت حافظ عبد الحافظ: النقد الأدبي ونظرية الأدب (دراسة في نماذج روائية عربية معاصرة)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2024.
- 8- عدنان أحمد الضمادي، منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة من التلوث، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، ع51، شوال 1423هـ، 2002م.
- 9- فريد عوف: النقد البيئي الرؤية والتطبيق - دراسة تطبيقية لنماذج شعرية من شعر المدينة والزيف للشاعر الجزائري عبد الملك بومنجل، مجلة دراسات، مج 12، ع01، ماي 2023.
- 10- مجموعة مؤلفين: النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات، تر: نجاح الجبيلي، دار شهريار للنشر والتوزيع، بغداد، العراق، ط1، 2020.
- 11- محمد أبو الفضل بدران: أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية.
- 12- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.
- 13- هاني علي سعيد محمد: النقد الأدبي البيئي؛ قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، وممارسة تطبيقية على قصة " رأيت النخل" لرضوى عاشور، العدد 26، يناير 2022.
- 14- ياسين عبد الله المنزلاوي: البيئة من منظور إسلامي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.